

الشباب العربي والثقافة المزدوجة

مراوحة بين الوافد والمحلي

يسرى بن الهذيلي

باحثة تونسية



قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved

Mominoun Without Borders

تقديم عام:

في معرض حديثنا عن الثقافة، افتتاحية تهيي لافتتاح المعاني وتوالد العلامات، وإذا كان ذلك، فهي به تكون لحظة سوسيولوجية أولى، لإيجاد تعريف لثقافة من غير الممكن تعريفها في المطلق، وإذا أمكن فهو غير مفيد، ولعل أقل فائدة هو ذلك الذي ساد وتفرع منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، معتبرا أن الثقافة هي مجموعة المعارف والقابليات والتطبيقات، التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع ما. هناك رؤية أحدث، وهي ليست تعريفا ترى الإنسان معلقا في شبكة الدلالات التي ينسجها.

هذه الصورة التي هي من نوع ما استحضره "غيرترز" عن "ماكس فيبر" يمكن أن توجه نوعا من التحليل التأويلي أو التفهيمي للثقافة، إذا ما أمكن للحد من إغراءاتها، وأول الإغراء أن تكون الثقافة للناس جميعا.

ثم إن هذه الصورة الجميلة لعلاقة الإنسان بثقافته عبر الدلالة التي ينتجها فيها، وبها، تبقى صورة مجازية، غير تحليلية، إذا لم تكن مشدودة إلى الواقع الاجتماعي المتغير، باعتبار أن الخطاب الثقافي يحيل إلى هذا الواقع عبر الدلالة التي ينتجها.⁽¹⁾

افتتاحية أردناها، لندرج في إطارها مقاربتنا لموضوع الثقافة ضمن مشروع أوسع، يطرح صيغ تعاطي الشباب العربي مع الثقافة المزدوجة/ الوافدة، والتي ارتبطت خلال مرحلة تاريخية كاملة بصعود القوى الأوروبية وظهور ثقافة مهيمنة، وأخرى مهيمنة عليها.

بين هاتين الصورتين ما يكفي للمغامرة السوسيولوجية، ولتصنيف معانيها كلها، أن ترى وراء ما يرى (وهذا مبدأ القراءة)، وأن ترى فيه ما لا يرى (وهذه تقنية) لتجد المعنى حيث لا ينتظر.⁽²⁾

كأن نتحول في معرض حديثنا عن الشباب والثقافة المزدوجة للحديث عن الهوية، والحداثة، والإعلام الاستهلاكي، والشارع كعالم اجتماعي ونص متحرك، متموج يتسع للتناص، وفيه تقاطعات لثقافة واسعة مذهلة بتراميتها وتفرعها، ذات دلالات سوسيولوجية بليغة تطرح ما هو أول، تاريخيا، وما هو ثان، هو لعبة التمايز التي تنتج الاختلافات الثقافية لكل تجمع في ظل وضعية ما، ويسمى "توليدا ذلك الرهان القائم بين ثقافات العالم تلك النزاعات والصراعات والتآلفات، والتدافعات، والتداخل، والرفض، وذلك التدافع والتجاذب بين كل ثقافات العالم، هو باختصار امتزاج، ولكنه ذو محصلة لها مدى أبعد وغير قابل للتوقع".⁽³⁾

(1) الطاهر لبيب، عنف الهوية، مجلة المقدمة، عدد 1، الجمعية العربية لعلم الاجتماع تونس، 2009، ص 11

(2) المرجع السابق، ص 13

(3) محسن بو عزيزي، التعبيرات الاحتجاجية والمجال الاجتماعي، الدار العربية للكتاب، تونس 2009، ص 33

ومن هذه الوجهة، فإن الشباب يتجاوز حدود الفئة العمرية، ليصبح وضعية اجتماعية متأثرة بعدم الإثبات الاجتماعي وبعدم النضج الناجم عن طول مدة الدراسة، وتأخر سن الانفصال عن العائلة، وطول أمد البطالة أو الشغل الوقتي، وهي كلها أوضاع أصبحت قارة ومنتشرة، رغم وجود نزعة لدى المشرع لخلق سن مفصلية، وذلك بتخفيض سن المسؤولية والرشد والمدني.⁽⁵⁾

من هذا المنطلق، يبرز الحديث عن مفهوم ثقافة الشباب، باعتباره من المفاهيم الكلاسيكية في علم الاجتماع وبخاصة علم الاجتماع الأمريكي من النصف الأول من القرن العشرين، يعرفها "تالكوت بارسونز" من خلال ضبطه للحدود بين الطفولة والمراهقة، فيرى أن هذه الثقافة هي مضادة ومتناقضة مع ثقافة الكهول، ويقوم على فصل عميق بين أدوار الذكور وأدوار الإناث؛ فهي ثقافة مراهقة تعرف على أنها ثقافة لامتسولة، تتميز بالإقبال على ملذات الحياة.

والملاحظ هنا أن أغلب التخصصات في العلوم الاجتماعية التي اعتنت بموضوع الشباب تدرك أهمية ظاهرة تمدد دورة الحياة، وتغير أنساق الإدماج الاقتصادي والاجتماعي في تحديد مفهوم الشباب والمفاهيم المتصلة به، كما تركز على ظاهرة الإقصاء الاجتماعي والتهميش لتفسير العديد من السلوكيات، كالجنوح، والعنف، والتغيرات الثقافية الجديدة التي تبدو تغيرات مضادة ورافضة، أو تعبيرات عن اليأس بالصمت؛ فحين يشعر الشاب أن مجتمع الكهول غامض وبعيد وعدواني، وأنه لا يمكن التواصل معه يصبح الانكفاء على الذات، أو الصمت هو أنجع أشكال الإجابة.⁽⁶⁾

مجال البحث إذن، هو التفكير في البناءات الرمزية، والتعبيرات الثقافية في علاقتها بمعطيات الواقع الاجتماعي، وعلى أساس أن البحث في الثقافة هو بحث في هوية المجتمع كما هي معيشة في تمثلها.

عند البحث في عوامل عديدة، من أهمها: المعيشة، فالثقافة العربية من حيث المحتوى، ومن حيث اللغة لا يمكن الجزم أنها تبدأ كلياً من مرحلة الجاهلية، بل إن جذورها تمتد إلى تلك الحضارات.⁽⁷⁾

وتناقض الثقافتين العربية والغربية هذا موجود، ويحتدم الصراع بينهما في مختلف الجهات، وهو الخطر الذي يواجه الثقافة العربية، وليس الكلام المنفعل ذو الدوافع السياسية عن وجود ثقافات عربية وليس ثقافة عربية واحدة.

⁽⁵⁾ علي ليلة، الثقافة العربية والشباب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002، ص 68

⁽⁶⁾ Béji (Hélé), Désenchantement national: essai sur la décolonisation, François Maspero, Paris, p. 124

⁽⁷⁾ علي أواميل، سؤال الثقافة العربية في عالم متحول، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2005، ص 101

وهي تسند الأولى، فإنها تتعلق بتأثير هذا الانقباض والتفكك على المجتمع بقيمه وعاداته وتقاليده، وخلق هوة شاسعة بين الأجيال، وكثيرا ما يشعر الأولياء بأن أبناءهم مختلفون، ويصاحب ذلك إحساسهم بعدم القدرة على فهم ومواكبة هذا التغيير، إنهم يفاجؤون في كل يوم بأنماط جديدة في السلوك والتعبير، ومواقف غير معهودة أو غير منتظرة، ومن هنا ينتابهم شعور بالقلق أحيانا، وإحساس بالعجز أحيانا أخرى، وقد يلجؤون كسلطة اجتماعية وتربوية، إلى الأحكام الأخلاقية الجاهزة بالطيش، والتهور، والانحلال الأخلاقي، وهي كلها ردود تلقي بالمسؤولية على ثقافة الجيل الجديد المستبطنة للوafd وثقافته الدخيلة؛ لذلك هو الجيل الضائع، أو هو جيل "المعاناة".



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com